



الحمد لله الذي تفرد في أزليته بعز كبرياته، ونور بمعرفته قلوب أوليائه، وطيب أسرار القاصدين بطيب ثنائه، وأمن خوف الخائفين بحسن رجائه، الحي العليم الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في أرضه ولا سمائه، القدير لا شريك له في تدبيره وإنشائه.. وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، ولهم الحمد، وهو على كل شيء قادر.. يارب:

أنا من أنا.. أنا في الوجود وديعة *** وغدا سأمضي عابراً في رحلتي.
أنا ما مدت يدي لغيرك سائلاً *** فارحم بفضلك يا مهيمن ذاتي.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد.. عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه - صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسننته واقتدى بهديه إلى يوم الدين - أما بعد:
عباد الله: إن للأخلاق مكانة عظيمة في حياة الأفراد والمجتمعات والشعوب ولذلك اعتبرها الإسلام قيمة إيمانية مرتبطة بعقيدة الفرد وصلته بربه، ورتب عليها الجزاء في الدنيا والآخرة وجعل سبحانه وتعالى تربية الخلق وتزكية نفوسهم بالأخلاق والفضائل من أهداف الرسالات والنبوات فقال عن نبيه محمد صل الله عليه وسلم (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَنْذُرُهُمْ آيَاتٍ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (الجمعة: 2).. وقال - صل الله عليه وسلم - (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَنَّمَّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ) وفي رواية (صالح) (صالح) الأخلاق (السلسلة الصحيحة الرقم: 45)

وأهل البر هم أصحاب الأخلاق الكريمة والتي من أعظمها ما ذكره الله في كتابه فقال: (لَيْسَ الْبَرُّ أَنْ تُؤْلِوْا وَجُوهُكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبَرَّ مَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبُأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبُأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) (البقرة: 177)..

بل إن صاحب الخلق ليبلغ به خلقه منازل عالية في الدنيا والآخرة يقول عليه الصلاة والسلام: (إِنَّ مَنْ أَحِكْمَ إِلَيْيَ وَأَقْرِبَكُمْ مَنْيَ مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا) (رواه البخاري في الأدب المفرد 272)، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما شيء أثقل من ميزان المؤمن يوم القيمة من خلق حسن وأن الله ليبغض الفاحش البذيء) (صحيح الترغيب والترهيب للألباني / 2641).. وأخلاق المسلم ثابتة لا تتغير يجب أن يتلزم بها في حال الغضب والرضا وال الحرب والسلم والعسر واليسر والقوة والضعف وفي الفقر والغنى.. لما فتحت فارس وسقط ملك الأكاسرة أرسل القائد الفاتح نفائس الإيوان إلى المدينة المنورة كانت أكواها من الذهب والجوهر في حقائب بعضها فوق بعض حملت من المدائن إلى دار الخلافة لم تنقص ذرة خلال آلاف الأميال قال ابن جرير: لما قدم بسيف كسرى مع بقية الكنوز قال عمر إن أقواماً أدوا هذا لذوا أمانة فقال له على ابن أبي طالب - رضي الله عنه - : (إِنَّكَ عَفْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَعَفْتَ الرَّعْيَةَ...) ..

إنها أخلاق الإسلام... فلا يمكن أن يأتي زمن أو ظروف أو حادثة تبيح للمسلم أن يتخل عن هذه الأخلاق ولا يعني وجود المشاكل والاختلافات بين الناس الخروج عن هذه الأخلاق والقيم والخصوص لغرائز الغضب والحمية الجاهلية وإشباع نوازع الحقد والقسوة والأناية، فلابد أن يكون المسلم عادلاً ورعاً وأميناً وصادقاً ووفياً في سائر أحواله لأنه يتبع الله بهذه الأخلاق ويبتغي مرضاة الله بهذا السلوك قال تعالى: (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَّانٌ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ) (المائدة: 8).. أي لا يحملكم بغضكم لأعدائكم أن تتجاوزوا وتطلموا بل التزموا بالعدل في أقوالكم وأفعالكم.. وقال تعالى: (وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أُوفُوا ذَلِكُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (الأنعام: 152).

أيها المؤمنون /عباد الله : عند نزول الفتنة وحدوث الصراعات والاختلافات واحتدام المشاكل بين الأفراد والمجتمعات والدول ينبغي للمسلم أن يوطن نفسه أن يكون صاحب أخلاق عظيمة يرضي بها ربه وتكون سبباً في دفع المصائب والشرور عنه وطريقاً للنجاة ومثالاً يحتذى به غيره.. ومن هذه الأخلاق صدق اللسان وسلامة المنطق والقول الحسن فقد حذر النبي - صلى الله عليه وسلم - من خطورة اللسان وسوء استخدامه وبين لمعاذ بن جبل رضي الله عنه أن طريق السلامة وسبيل الخيرية إنما يكون بكتف اللسان عن الشر.. قال معاذ: يا نبى الله وإنما لمواخذون بما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكتب الناس في النار على وجوهم، أو على مناخيرهم، إلا حصاد ألسنتهم" (صحيح الترغيب والترهيب للألباني" 2866)... فكل كلمة أو لفظ مسجل ومحسوب.. يقول الله عز وجل: (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدِيهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) (آل عمران: 18) .. وقال تعالى: (أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَتَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدِيهِمْ يَكْتُبُونَ) (الزخرف: 80) إن حفظ اللسان عن المأثم والحرام والكذب والخوض في الباطل عنوان على استقامة الدين وكمال الإيمان، في قلب المسلم يقول صلى الله عليه وسلم : (لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه) (الألباني في صحيح الترغيب 2554) وعند الفتنة والمشاكل تزداد شهوة الكلام، وتكثر الأخبار وتنتشر الشائعات وتتنوع المعلومات ويكثر القيل والقال خاصة في زماننا مع وجود وسائل الإعلام المختلفة والقنوات الفضائية وشبكات الإنترنت وغيرها وكم من أخبار كاذبة ومعلومات خاطئة واتهامات باطلة وشائعات مغرضة تنشر في هذه الوسائل ضد أفراد أو مجتمعات أو شعوب أو دول ومع ذلك تجد الكثير لا يتثبت ولا يتحرى الصدق ولا يتأنى بل يشارك في نقلها ولا يدرك أن ناقل الكذب والمروج له، سواء علم أو شك أنه كذب، أو أذاعه من دون ثبت ولا تمحيص هو أحد الكاذبين، لأنه معين على الشر والعدوان، ناشر للإثم والظلم، و النبى - صلى الله عليه وسلم - يقول: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ زَعَمُوا) (صححه الألباني في تحقيق سنن أبي داود 4972) وهذه هي التي يسميها بعض الناس: "وكالة قالوا" دون ثبت أو فحص وتأكد دون مراعاة للمصالح والمفاسد من وراء ذلك.. بل هو الخوض في أعراض الناس ودمائهم وأموالهم والذي يندرم أصحابه يوم القيمة وهو يسألون عن سبب وجودهم في النار فأجابوا كما أخبر تعالى (مَا سَلَكُكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلَّيْنَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعَمُ الْمِسْكِيْنَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِيْنَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّيْنِ

* حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ * فَمَا تَنَفَّعُهُ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (المدثر 42-48).. وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ألا أخبركم بشراركم؟!) قالوا: بلى يا رسول الله، قال: (المسؤولون بالنعمة، المفسدون بين الأحبة، الباغون للبراء العنت) (حسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد 246) أي الذين يريدون تلطيخ سمعة غيرهم.. فالمسلم إن لم يتكلم في الخير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويصلح بين الناس ويجمع الكلمة وينصح المسلمين وإن الصمت أولى وأوجب فأخلاقه وقيمه ومبادئه ثابتة في الرخاء والشدة والعسر واليسر ولا يمكن أن تباع في سوق الفتن لأنه يتبع الله بها ويبتلي من الله في ذلك قال تعالى (وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصِرُّونَ وَكَانَ رِئَكَ بَصِيرًا) (الفرقان 20)

عباد الله: إن على المسلم أن يتصف كذلك بالأناة والتؤدة وعدم التسرع والعجلة وعليه أن يحكم الشرع والعقل والمصلحة في كل أموره وفي كل قراراته حتى يتبيّن له الحق من الباطل والخير من الشر والمصلحة من المفسدة وعليه أن يستعين بمن شاء من أصحاب العلم والأخلاق والفهم والرأي.. وفي زمن الشدائيد والفتنة أخرى وأولى، للمسلم أن لا يتسرع أو يتجلّل الأمور قبل أن تتبيّن له لأن وقت تطيش فيه العقول، وتضطرب القلوب، وتختلط المواقف، ولا يسعف المرء إلا التثبت والأناة والحلم والرفق وإتباع الحق.. فالعجلة والتسرع والغضب المذموم قد يزيد من انتشار الشر وزيادة المنكر وذهاب الأمن وحلول المصائب وظهور العادات وبالتالي يخسر المسلم دينه ودنياه وآخرته بسبب لحظة عابرة أو موقف تافه أو سلوك لا يدرك خطورته ولا يستوعب عوائقه ولا يقدر نتائجه.. ولهذا جاء عن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "إنها ستكون أمور مشتبهات؛ فعليكم بالتؤدة، فإنك أن تكون تابعاً في الخير خير من أن تكون رأساً في الشر" أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (38343)... فأوصى بالتؤدة وهي الأناة وعدم التعجل وأن يكون معمول خيراً لا معمول هدم آمراً بمعرفة وناهياً عن منكر وقاتلأً لكلمة الحق لا يخشى لومة لائم ساعياً بكل ما أوتي من قوة إلى درء الفتنة ونشر الخير وجمع الكلمة وإصلاح ذات البين والدعوة إلى الأخوة والألفة والتراحم والله تبارك وتعالى يقول: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَاصْلِحُوهَا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ) (الحجرات: 10)

كتب رجل إلى ابن عمر رضي الله عنهما يطلب منه أن يكتب له شيئاً عن العلم؛ فكتب إليه: "إن العلم كثير يابن أخي، ولكن إن استطعت أن تلقى الله خفيف الظهر من دماء المسلمين، خميس البطن من أموالهم، كاف اللسان عن أعراضهم، لازماً لجماعتهم، فافعل" سير أعلام النبلاء (3/222)..

تيقن فاحذر التسرع والعجلة والحكم على الأمور وتيقن قبل أن تكون سبباً في دماء تسفك وأعراض تنتهك وأموال تنهب وفتنة تعم وإنسان يظلم وباطل ينصر وحق يخذل ومحروم يهملا.. قال عليه الصلاة والسلام لأشجع عبد القيس: (إِنْ فِيْكَ خَصْلَتِيْنَ يَحِبِّيْهَا اللَّهُ، الْحَلْمُ وَالْأَنَّةُ) (مسلم 24)..

ويقول المسئول القرشي عند عمرو بن العاص: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثُرُ النَّاسِ". فَقَالَ لَهُ عَمْرُو: أَيْصِرُّ مَا تَقُولُ. قَالَ: أَقُولُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ: لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ، إِنَّ فِيهِمْ لَخِسَالاً أَرْبَعاً: إِنَّهُمْ لَأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ وَأَسْرَعُهُمْ إِفَاقَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ وَأُوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةً وَخَيْرُهُمْ لِمِسْكِينٍ وَيَتِيمٍ وَضَعِيفٍ وَخَامِسَةٌ حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ وَأَمْعَاهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ) (مسلم 2889)..

فكيف لا نلتزم بهذه الأخلاق وهي من صميم ديننا نذكرها الله في كتابه وذكرها النبي - صلى الله عليه وسلم - في سنته ومارسها صاحبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في واقع الحياة ففتحت لهم القلوب ودانت لهم الدنيا... اللهم ألف بين قلوبنا وأصلاح ذات بيننا واهدنا سواء السبيل.. قلت ما سمعتم واستغفر الله لي لكم فاستغفروه..

يقول عز من قائل: (لَا خَيْرٌ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ تُؤْتَيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) (النساء: 114).. فكن صاحب خلق لا ترهبك فتنه ولا تستهويك شهوة ولا يزين الشيطان لك سوء أعمالك فيصدقك عن الحق والخير والعدل والأمانة والصدق والوفاء ولا تنس المعروف بينك وبين إخوانك المسلمين تحت أي ظروف.. وانظروا إلى رسولكم - صلى الله عليه وسلم - وال الحرب تدور رحاها مع المشركين يوم بدر والمسلمين في ضائقه وكرب لم ينسى - صلى الله عليه وسلم - من أسدى عليه معروف يوماً من الأيام فهذا أبو البحترى بن هشام أحد الرجال القلائل من المشركين الذين سعوا في نقض صحيفة الحصار والمقاطعة الظالمه التي تعرض لها رسول الله وأصحابه في شعب أبي طالب فعرف له الرسول جميله وحفظه له، فلما كان يوم بدر قال - صلى الله عليه وسلم - : "من لقي أبو البحترى بن هشام فلا يقتل" يا لعظمة هذه الأخلاق ويا لروعه هذا الوفاء.. مع أنه عدوه ويحاربه وهم في ميدان مواجهه ومع ذلك لم ينسى المعروف..

وأنت كم بينك وجيرانك وإخوانك في الدين والوطن من معروف وصلات أرحام ووشائج قربى فاحذر من الفتنة ومن العصبية والعداوة والبغضاء واحذر مزالق الشيطان وخطواته واحذر من شياطين الأنس الذين انحرفت أخلاقهم وسلوكياتهم فالحق أحق أن يتبع والسعيد من جنبه الله الفتنة وهداه إلى الحق بإذنه وأعلم أن أخلاقك دين تتبعه الله بها وليس للبيع والشراء أو المساومة وانصاف الحلول ومجاملة فلان وعلان من الناس أو تقرباً من هذا وذاك كلار.

إنها رأس مالك فأثبتت عليه ومارسها سلوكاً في الحياة ولن تنازل هذه الأمة رحمة الله ولن تفرج كرباتها إلا بعقيدة صحيحة وأخلاق حسنة وسلوك قوي.. فأحسنواظن بالله وبعفوه ورحمته وثقوا بحسن بتديريه وتكلوا عليه..

اللهم اهدنا بهداك ولا تولنا أحداً سواك وألف بين قلوبنا والحقن دمائنا واحفظ بلادنا وسائر بلاد المسلمين .. وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين والحمد لله رب العالمين

صفحة الكاتب على فيسبوك

المصادر: